

## اختبارات الإسقاط في الطب العقلي الإكلينيكي\*

للدكتور م . بلولر  
الأستاذ بكلية الطب بزورخ  
تلخيص : أميرة حلمي مطر

ليس من اليسير تحديد قيمة اختبارات الإسقاط في ميدان الطب العقلي الكلينيكي خاصة لأن الرأي قد اختلف بين الأخصائيين المتحمسين لها ومعارضيه الكلينيكيين المشتغلين بالعيادة الذين لا يستعينون بها . وفضلا عن هذا الاختلاف فإن الذين يستعملونها لا يوضحون أهميتها ولذلك أنتهز هذه المناسبة لانعقاد المؤتمر الدولي فأوضح تلك المسائل الهامة وهي اختلاف الرأي في قيمة اختبارات الإسقاط ومدى استعمالها في الطب العقلي الكلينيكي وما هي قيمتها النظرية والعملية .

هذا هو موضوعي أما بخصوص منهجي فأقول إن الطب العقلي الكلينيكي قد أصبح من الاتساع حتى شمل اختبارات الإسقاط إلى جانب التشخيص النفسي ولن أراد تقديم عرض كامل للاختبارت أن يستعين بتاريخ المؤلفات إلا أن هذه الوسيلة إذا خلت من التجربة الشخصية لا تعدو أن تكون ثباتاً جافاً بالمراجع وإن احتوت على كثير من التفصيلات التي لا يصل إليها المحرب على أنى أفضل التجربة الشخصية التي تستمد معلوماتها من الحياة مباشرة وأقول لكي أتلافى التأويل الخاطيء إنه ليس معنى إيجازي في بعض المواضع أننى أغفل أهميتها بل الأمر موكول إلى مدى خبرتي بها فأنا الكلينيكي أصلاً لا استعمل الاختبارات إلا بصفة إضافية زائدة ولذلك فإني اهتممت بنوعين هما اختبار رورشاخ إذ كان لي حظ معرفة

\* عقد باريس من ٤ إلى ١٢ أكتوبر عام ١٩٥٠ أول مؤتمر دولي للطب العقلي . ومن بين الموضوعات التي بحثت موضوع اختبارات الإسقاط وتطبيقها في الطب العقلي الكلينيكي للدكتور م . بلويلر الأستاذ بكلية الطب بزورخ وهذه ترجمة موجزة لتلك المحاضرة القيمة .

عن صاحبه الذى أطلعنى عليه منذ ٣٠ عاماً فطبقته منذ ذلك الحين على المرضى والأسوياء وقارنت النتائج بالتقارير الكلينيكية وكذلك عرفت تجربة التداعى ليونج وبعض الاختبارات الخاصة بالأطفال بفضل خدمتى للطب العقلى للأطفال وعلى العكس من ذلك ليس لدى إلا القليل من الخبرة الشخصية فيما يتعلق بالاختبارات الأخرى الهامة مثل اختبار تفهم الموضوع لموراى- Murray. "Thematic apper-ception test" واختبار Wartegg .

ونستطيع استناداً على تطبيقنا اختبارات الإسقاط عند مرضى الأمراض العقلية أن تنهى إلى هذه النتيجة « ينعكس مفهوم علم النفس المرضى المعروف لنا من التجربة الكلينيكية فى اختبارات الإسقاط » ومعنى هذا أننا نستطيع بواسطة اختبارات الإسقاط أن نصل إلى نفس النتائج التى نصل إليها بالاختبار الكلينيكى وإن هنالك إنسجاماً بين اختبارات الإسقاط وعلم النفس المرضى العام . إلا أن هذا المبدأ لم يكن بالمتفق عليه دائماً وكثيراً ما أغفله بعض المؤلفين وبن أمثالهم إخصائيو الاختبار الذين زعموا إمكان الوصول بواسطته إلى اكتشافات جديدة فى علم النفس المرضى لم يصل إليها البحث الكلينيكى وإلى جانب هؤلاء إكلينيكيو المدرسة القديمة واتباع الطب العقلى عند كريبلان Kraepelin ونظرية « ألمانيا الموحدة » la monomamie فى المدرسة الفرنسية القديمة المتأثرة بالنظام الطبيعى Systema Naturae عند لينيه Linné هؤلاء كلهم قد مالوا للفكرة القديمة القائلة بذهان psychose ذى عدد من الأعراض المنفصلة وأرادوا استخدام اختبارات الإسقاط فى الكشف عن أعراض جديدة قصد إضافتها إلى المجموعة المعروفة لهم ومثل هذا رأى لا يتفق مع المقصود من اختبارات الإسقاط التى لا توضح إلا اضطراباً فى الشخصية بأسرها ككل وفى جميع مظاهرها .

وهنا قد نتساءل هل معنى وصول اختبارات الإسقاط إلى النتائج نفسها التى نصل إليها بطريق الاختبار الكلينيكى إنها عاجزة عن أى اكتشاف جديد مختلف عما وصل إليه الطب العقلى ؟ لنبدأ البحث أولاً فى ميدان الذهان ذى الأساس الحى وهنا يجب أن نميز فيه بين أنواع ثلاثة أولها يجمع تحت اسم النمط الرجعى الحاد على حد تعبير بونهوفر Bonhoffer ويشمل هذا النوع الهداء والحالات الغسفية وانحرافات الإدراك والهلوسات ومرض كورساكوف الحاد. وثانياً الحالات المزمنة

(١) خلل عقلى بالنسبة لموضوع واحد معين وأن ظل المريض سوياً بالنسبة لغيره من الموضوعات

المتميزة بعدم وجود اختلال ذهنى مع الاضطراب فى الاندفاع والمزاج وترجع إلى تلف مخى ذئى موضع محدد.

أما النوع الثالث وهو الأهم فينسب إلى تلف مخى مزمن منتشر غير محدد، وقد يكون ذى أساس تسمى أو إصابى أو انحلالى أو التهاى أو وعائى لتصلب الشريان وقد اختلف العلماء فى تسميته فالبعض يسمونه عصاب كورساكوف وأحياناً يطلق عليه *prychosyndrome amnésique* ويقترح ا . بلوير E. Bleuler اسم *syndrome<sup>(1)</sup> psychoorganique* أى المرض النفسى العضوى.

ولا يعيننا الآن إيجاد التسمية له بقدر ما تعيننا أعراضه كما تظهر فى نتيجة الاختبار وهذه تتلخص فى فقر الأفكار وسيطرة فكرة بالنسبة لغيرها وفقدان القدرة على النقد والميل إلى التعلق بالتفصيلات وسرعة التعب وهى تنعكس فى اختبار الرورشاخ فيقابل قلة الأفكار قلة فى عدد الإجابات وافتقارها للتنوع وزيادة نسبة الحيوانات وتظهر نقص القدرة على النقد فى عدم القدرة على النظرة الشاملة أما التعلق بالتفصيلات فيظهر مثلاً فى أن يؤول المريض البقعة على أنها بقرة لمجرد وجود نتوء يشبه القرن ويظهر الإصرار على فكرة ما فى تمسك المريض بفكرة معينة ولو حتى غيرنا الاختبار أما سرعة التعب فيعبر عنها الاختبار ببطء الاستجابة . ويمكن أيضاً الكشف عن الناحية الوجدانية بواسطة اختبارات الإسقاط إذ يتميز فيها المريض بالحمود والبلادة وضياح كل اندفاع وهبوط الوجدانات وفى حين رأينا كيف أن فكرة ما قد تسيطر على المريض فكذلك قد يستولى عليه وجدان معين فيندفع فيه المريض اندفاعاً يفقد معه أى تحكم فى عواطفه الأخرى ومما يبدو منه أثناء الاختبار أنه يفقد الاهتمام به ولا يعطى إلا إجابات سطحية متكررة تزيد فيها صور الحيوانات ويتضاءل عدد الإجابات الحركية والشكلية اللونية *forme couleur* مما يدل على فقدان القدرة على الإبداع الفكرى والهبوط الوجدانى فإذا انتقلنا إلى ميدان آخر هو ميدان الفصام *schizophrénie* الناتج عن وجود انشقاق *dissociation* يفقد معه المريض وحدته وتظهر عنده أعراض نفسه منفصلة تتلخص فى ظاهرة تناقض الصدى الوجدانى والعقلى للتجربة الواحدة التى يعانىها المريض وفى عدم الانسجام بين حركات وجه المريض وصوته وحالته الانفعالية وفى انهيار الشخصية (١) لفظ *Syndrome* يشير إلى مجموعة أعراض مرضية توجد عادة معاً مكونة وحدة مرضية .

حتى يشعر الفرد بأنه منقسم قسمين أحدهما متعلق بالآنا والآخر منشق عليها فلا يستطيع أن يتجه إلى هدف معين وكأنه مسوق بقوة خفية لشخص آخر، هذه الأعراض المعروفة لنا بالتجربة الكلينيكية نستطيع الوصول إليها بواسطة اختبار الإسقاط فيما يدل على عدم الانسجام مثلا حدوث رفض كلي مفاجيء للاختبار إلى جانب الإجابات الجيدة أو أن يتبع بعض الإجابات السطحية التافهة إجابات فكرية متعددة وأحلام لا شعورية وكثرة ظهور الأشباح المقنعة والصور المفزعة لأجسام بشرية مقطعة ومستترت تحت صور للحيوان أو النبات وكذلك الحال في العصاب *Nevroses* لم يأتي الاختبار بشيء جديد وإن كان له فضل الإفصاح عن الرغبات والأفكار المكبوتة فمثلا في اختبار رورشاخ تدل ظاهرة الصدمة اللونية *choc-couleur* التي يتوقف فيها المريض عن تفسير الاختيار ولا يعطى أى إجابة حركية أو إجابة شكلية إلا بغاية الصعوبة على أن المريض يعاني صراع الحيلولة بين رغباته المكبوتة من الظهور الأمر الذي يقتضى دائماً كف النشاط النفسى والوقوع فى حالة من الدهول ومن ناحية أخرى نجد أن الاهتمام بمضمون الإجابة وعدم الاقتصار على شكلها فقط قد يؤول فى كثير من الأحيان حسب الاتجاه الفروييدى على أنه نوع من التداعى الحر أو الأحلام . ولاختبارات الإسقاط قيمة فى تقدير الذكاء والضعف العقلى فى حالات النقص العقلى *Oligophrénie* المصحوبة بعدم القدرة على التركيب والإبداع الفكرى يقل فى اختبار رورشاخ الإجابات الحركية مما يدل على فقر الأفكار سواء فى مضمونها أو فى عددها .

وفىما يختص بتفسير نتائج الاختبارات يمكن اعتبار ثلاث أوجه هى المضمون والشكل وتصرف المريض أثناء الاختبار وقد لقيت هذه الأوجه الثلاثة درجات متفاوتة من الاهتمام على مر السنوات فى بادئ الأمر لم يهتم المختبرون بتصرف المريض واعتبروا تأويل مضمون الإجابة نوعاً من الخداع على أن يونج فى اختبار التداعى قد أولى المضمون أهمية خاصة أما الاتجاه الحديث فيعطى أهمية متساوية للأوجه الثلاث وقد أدخلت مدام منكفسكا *Mme. Françoise Minkowska* تفسيراً جديداً لا اختبار رورشاخ بتمييزها بين المرضى الذين يحاولون إيجاد ارتباط بين أجزاء الاختبار وهم أصحاب المزاج الازج شبه المصروعين *épileptoïde* والمرضى الذين يميلون إلى التجزئة فى الأشكال وهؤلاء هم الفصاميون .

والخلاصة أن اختبارات الإسقاط تكشف عن نفس الشخصية ونفس الاختلال يتضافر أوجه الاختبار الثلاثة سلوك المريض ومضمون الإجابة وشكلها وهذا يؤدي بنا إلى هذه النتيجة الهامة وهي أن اختبارات الإسقاط لا تجدد في علم النفس المرضى المعروف في الأمراض العقلية وإن كانت تؤكد .

أما فيما يتعلق بنتيجة اختبارات الإسقاط كوسيلة للتشخيص في الأمراض العقلية فإننا حين نقارن بينها وبين المنهج الكلينيكي المستعمل نجد أنها لا تمتاز عنه كثيراً إذ تفشل مثله في تعيين العلة الجسمية الخاصة بحالات الأمراض النفسية العضوية وإن استطاعت الكشف عن الأعراض المعروفة لها وينطبق هذا الرأي أيضاً على حالات النقص العقلي oligophrémie إذ يفشل الاختبار كالتشخيص الكلينيكي في بيان سبب اضطراب التوتر Pagitation catatoniforme هل ترجع إلى طبيعة فصامية أم مجرد أعراض للبله idiotie . ومن ناحية أخرى لا نستطيع أن نستغنى عن المنهج الكلينيكي البسيط المستعمل في محاورة المريض كما قد لاح لإحصائي الاختبار الذين كانوا يرون فيه وسيلة أسرع وأكثر تأكيداً فحقيقة يفيد الاختبار في تبسيط الحالات الغامضة وخاصة عند الأطفال إلا أنه لا يكفي حتى ولو لم تقتصر على اختبار واحد واستعملنا عدة اختبارات . هذا إلى أننا لا نستطيع أيضاً الاعتماد عليه وحده في تقدير درجة خطورة المرضى من الناحية الاجتماعية وإلى أي حد يخول لنا حق الحكم على المريض بضرورة حجزه في المستشفى أو وضعه تحت الوصاية أو مدى صلاحيته للحياة الزوجية أو لعمل معين .

فإذا لم تأت لنا اختبارات الإسقاط بنتائج حاسمة في التشخيص الكلينيكي فما مقدار أهميتها في مجال الكشف عن مضمون الشخصية ؟ للإجابة عن ذلك السؤال يجب أن نواجه الطب العقلي عند الأطفال إذ لا تكفي هنا المحاورة فقد يعاني الطفل ما يعانیه ولكنه لا ينطق به ولذلك أفادت اختبارات الإسقاط كوسيلة للكشف عن التوتر الواجداني والمشكلات الخاصة بالطفل حتى لقد صارت علاجاً لهم قائماً على الإسقاط Therapie de projection<sup>(١)</sup> . في الواقع أن استخدام الاختبار عند الأطفال قد صار من الاتساع حتى شمل

(١) أهم الاختبارات الخاصة بالأطفال : اختبار التداعي ليونج واختبار تفهم الموضوع واختبار القصص لدوس Test des fables, Duss واختبارات اللعب .

حياة الطفل بأسرها بعد أن كان جزءاً منها حتى ليقال إن لعبه لم يتحول فقط إلى اختبار ولكن الاختبار نفسه قد صار له لعباً .

أما عند البالغين فالاختبار طريقة من بين عدة طرق للكشف عن الميل الوجدانية المكبوتة وليست الطريقة الوحيدة كما هي الحال عند الأطفال إذ أن المحاورة عند البالغ أكثر أهمية منها عند الطفل لأننا يمكننا أن نستخدم مناهج أخرى كالتداعي الحر وتحليل الأحلام والأخطاء المعتاد وهذا ما يبين لنا سبب إغفال فرويد وغيره من المحللين النفسيين لاستخدامها .

وإذا كنا بصدد قيمة الاختبارات في الكشف عن الشخصية وهي بلا شك عظيمة الأهمية فيجب أن نتحرز من الفصل بين الشكل والمضمون وإن كنا نستخدمها الآن في تشخيص السمات المميزة الثابتة للمجموعات المتجانسة بعد أن ثبتت أهميتها تجريبياً في هذا المجال بعد موازنة نتائج الرورشاخ عند تلاميذ سويسريين وألمان وأمر يكان ومراكشيين<sup>(١)</sup> ولكننا يجب ألا ننظر أن الاختبار يأتي بنتيجة مؤكدة عن الشخصية أو أنه كاف لتقدير الناحية العملية والاجتماعية فيها أو أنه يمتاز عن الطرق البسيطة الأخرى . فكثيراً ما تأتي الاختبارات غير دقيقة ولا مؤكدة عن الشخصية فتعجز عن إظهار السمات الخاصة بكل فرد ولا تتضح فيها الفروق الموجودة بين الشيخ والشاب أو الرجل والمرأة أو الاتجاهات الإجرامية . هذا إلى أن المختبر بواسطة اختبار الرورشاخ كثيراً ما يعتمد على الإجابات اللونية réponsés-couleurs لدى الفرد ، ولما كانت هذه حالة عابرة لأنها تتوقف على المزاج humeur يتعرض الاختبار للتأثر بالمصادفات العرضية الخارجية . لذلك وجبت الاستعانة بمنهج آخر للكشف عن الشخصية هو عادة المنهج الكلينيكي البسيط الذي يتخلص في محادثة المريض وملاحظة سلوكه وتاريخ حياته . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إن اختبارات الإسقاط تكمل

(١) نذكر بهذه المناسبة مقال بقلم الأستاذ إسحاق رمزي في مجلة علم النفس مجلد ٢ عدد ٢ . يقول إن من طريف الأبحاث التي انتهى إليها م . بلولر و ا بلولر . Bleuler, M, & Bleuler E . عن اختبار رودشاخ عند ٢٩ فلان من المراكشيين ومقارنة نتائجهم بأشخاص يمانلونهم من الأوربيين أن الاختبار استطاع أن يفصح عن لب خلق الشعب المراكشي حين وجدا أن استجابات المراكشيين قد دلت على عوز واضح لإل، التكامل والتفكير المجرد على عكس الشائع عند الأوربيين وميز المراكشي بوجه عام أنه حي متأثر بظروف الحياة المحيطة به ولكنه إذا واجه مشاكها انقلب إلى فصامي النزعة ميالا للعزلة .

الاختبار الكيلنيكي للشخصية وتصحيحه في بعض النواحي ولكنها لا تحل محله وإن أتت بنتائج براءة إلا أنها لا تعين السمات الفردية ذات الأثر العملي الاجتماعي . على ضوء ما قد سبق يتبين لنا أن اختبارات الإسقاط رغم نتائجها المرفقة في تشخيص الأمراض العقلية والطب العقلي عند الأطفال والكشف عن مضمون الشخصية لم تخرج عن أن تكون وسيلة مساعدة متواضعة . مما يدل على أن قيمتها الحقيقية لا تكمن في ناحية تطبيقها على التشخيص الجارى كما هو المعروف ولكن في ناحية أخرى ، في أنها تفتتح ميداناً جديداً سواء في الطب العقلي أو في علم النفس . فهي من أهم دعائم المبدأ الجشطلتي ومبدأ التكامل في الشخصية وفي ذلك يقول هانز بندر Hans Binder

« إذا أريد مناهج تجريبية تتجه إلى الحياة النفسية بأسرها مع سماحها للفروق الفردية بالظهور فلن نجد خيراً من تجربة هرمان رورشاخ » .  
وتتولى اختبارات الإسقاط مهمة معارضة الفكرة الطبيعية Naturaliste القديمة في تجزئة علم النفس وعلم النفس المرضى إلى أجزاء متميزة منفصلة في حين أنها تؤكد المبدأ الذى يستند إليه علم النفس الجشطلتي وعلم النفس المرضى والطب العقلي فتبين أن العملية العقلية ليس لها وحدها قيمة هامة لأنها ليست منفصلة عن الحياة النفسية ، كلها كما أن كل عامل في الاختبار مرتبط بالنتيجة الكلية ولذلك نجد نهضة الاختبارات مرتبطة بازدهار علم النفس الجشطلتي حتى لوجد بعض أعلامه مثل ساندر Sander وفارنج Wartegg يقومون باستعمال رسومات شبيهة باختبارات الإسقاط . ثم يمتد أثرها إلى ميدان باثولوجيا التكوين الجبلى la Pathologie de la constitution وقد سادت في علم النفس وعلم النفس المرضى والطب العقلي عند كريبلان Kraepelin حوالى قرن من الزمان فكرة التمييز في الشخصية بين الوجهة الشكلية الثابتة بالوراثة ووجه المضمون المتأثر بظروف الحياة الفردية . ولما أراد أنصار هذا الاتجاه إثبات فكرتهم بواسطة اختبار رورشاخ أتت التجربة بغير ما كانوا يرجون لأن هذه الإطارات الشكلية التى زعموها ثابتة ظهر أنها تتأثر بالمضمون فلوحظ التغير الذى ينتاب تلك الإطارات عندما يقرب الطفل مثلاً من البلوغ أو حسب الحالات المزاجية المختلفة وترتب على ذلك إثبات التداخل بين الجبلة الداخلية والتجربة الخارجية أو بمعنى آخو استطاع الإنسان أن يحدد عالمه الخارجى بمثل ما يتلقى عنه من تأثير . ثم استطاعت اختبارات

الإسقاط بما تبرزه من سمات مشتركة تتكرر في الأسرة وبما تراه من وحدة مرنة في جملة الصفات والسمات الوراثية أن تؤكد الاتجاه الجشططي في التكوين الجبلي *la constitution* بعكس ما تذهب إليه قوانين مندل في الفصل بين سمات الشخصية ومن الظواهر التي تبدو في اختبار الإسقاط أنه قد يأتي بنتيجة تخالف الشخصية المختبرة . فمثلاً قد يعطى المريض إجابة الأسوياء بينما نجد من الأسوياء كتاباء الفصامين من يعطى إجابات مرضى الفصام . كما أن الشخص الواحد قد يعطى إجابات لعدة شخصيات مختلفة . وبناء على ذلك نستطيع القول بأن الاختبارات لا تعطي صورة دقيقة للشخصية ولكنها من ناحية أخرى تكشف لنا عن عدد من المستويات أو المقولات *couches* في الشخصية الواحدة أو بمعنى آخر تكشف عما هو موجود بالقوة لا يبدو في الحياة الظاهرة وهذه الأوجه المتعددة التي تظهرها الاختبارات لا تخلو من فائدة عظيمة حين تكشف عن جوانب سوية عند المريض فتكون خيط الرجاء يتعلق به الطيب وهو بسبيل العلاج .

وتكاد اختبارات الإسقاط أن تقترب من ظاهرة التحويل *transfert* بالمعنى الفرويدى حين لا تشمل نتيجة الاختبار إسقاطات المريض فحسب بل تضم إلى جانبها إسقاطات القائم بالاختبار اللاشعورية . وليست تلك الظاهرة مما يقلل من شأنها بل نستطيع أن نفسرها على أساس قيمتها للمجتمع والحضارة بوجه عام فلاشك أن الحضارة بما تفرضه من قيود وحواجز تجعل الفرد ميالاً إلى معرفة غيره ليصل من خلالها إلى معرفة أعماق نفسه وفيها يجد الوسيلة التي يهرب بها من عزلته ويقرب من مجتمعه فالاختبارات لا تخدم الفرد المختبر وحده بل القائم بالاختبار والمجتمع أيضاً .

ولكى تم لنا الفكرة الواضحة عن اختبارات الإسقاط يجدر أن نقدم هذا التعريف الذى وضعه رابابور *Rapaport* « في عمليات الإسقاط يكون الفرد بنشاطه التلقائى شكلاً محدداً من المادة الغفل مستخدماً في ذلك الأسس التي تعمل في تكوينه السيكولوجى . » ويقضي العلم باختبار الإسقاط شرح تاريخ الاختبار ومعنى الإسقاط .

وتدين فكرة الاختبار بفضل نشأتها إلى العلوم الطبيعية والتجريبية . على أن أول من استعمل الاختبار كان جالتون *Galton* عام ١٨٨٣ في قياس القدرة

على حفظ الحروف الهجائية وإن كان قد استخدم قبل ذلك بدون تسمية عند فت Wundt وكريبلان Kraepelin وغيرهما وبعد أن أغفل أطباء الأمراض العقلية تجارب علم النفس مدة من الزمان عاد بوكولا Bucuola وكريبلان سنة ١٨٩٣ فاستعاننا بعلم النفس التجريبي في الطب العقلي وكان طابع علم النفس التجريبي في القرن التاسع عشر هو دقة القياس الكمي لتحديد الوظائف النفسية . إلا أن الاختبارات القديمة فشلت في قياس الوظائف النفسية المستقلة كما فشلت النزعة الترابطية atomistique في علم النفس وعلم النفس المرضى .

وكانت هذه الاختبارات بوادر لاختبارات الإسقاط فيجد يونج Yung يستفيد من اختبارات جالتون Galton وفت Wundt في علم النفس وكريبلان Kraepelin واشافنبرج Aschaffenburg في علم النفس المرضى . كما كانت اختباران استيوارت وبين Stuart et Payne وبينيه وهنرى Binet et Henri سابقة على اختبار رورشاخ الذى استفاد من تجارب تزيمون هنز Szimon Hens سنة ١٩١٧ في بقع الخبر . ولكن على الرغم من هذا فإن فكرة اختبارات الإسقاط وإن تطورت عن الاختبارات القديمة فإنها تصدر عن فكرة لم تكن في هذه الاختبارات القديمة وهي أن العملية العقلية لا يمكن أن تستقل عن الحياة النفسية التي ليست بدورها حاصلة من مجموع عمليات نفسية منفصلة . وهذه الفكرة الجشطلتيية قد فطن لها لاهوتى نابغ من زيورخ هو چوهان جيسبار لافاتير . Johan Gaspar Lavater ( ١٧٤١ - ١٨٠١ ) فطن إلى تكامل الحياة النفسية في الفرد فقال : « إنه وحدة سامية واتحاد منسجم للألوان المتباينة في شعاع واحد للشمس . » وتصل إلى بيان أن تبعية الجزء للكل يلزم عنها العكس أى إمكان الوصول من الجزء إلى الكل فقال إننا نستطيع أن نحكم على شخصية الإنسان من طريقة رفعه لقبعته . ولكن بعد أن قوبلت هذه الآراء بجحاس بادية الأمر سقطت في زوايا النسيان حتى أحيها الجشطلتي . وقد مهدت آراء لافاتير في علم الجرافولوجيا Graphologie الطريق لفكرة الإسقاط وهذه الآراء العلمية القيمة التي توصل إليها لافاتير إنما كانت نتيجة لنزعته الصوفية إذ كان يرى إمكان الوصول إلى الله من خلال المظاهر الصادرة عنه وخاصة ذلك الإنسان الذي خلقه على مثاله .

وإلى جانب هذين التيارين الأساسيين تيار الاختبار العلمى الخالص وتيار لاقاثير الصوفى ، ساهمت بعض الظروف العلمية الأخرى فى نشأة اختبارات الإسقاط ، فنجد الطب العقلى الكلينىكى حينما لم يعد ينظر إلى أعراض الذهان على أنها وحدات منفصلة قد استعان باختبارات الإسقاط للكشف عن العلاقة المتبادلة بين هذه الأعراض . أما فى ميدان التحليل النفسى فلا يمكننا بحال ما إغفال قيمة تجربة التداعى الحر وكيف أنها لم تخرج عن أن تكون نوعاً من اختبارات الإسقاط التى تكشف عن وجوه كثيرة من الحياة النفسية مثل أعراض الاضطرابات العقلية وفى تقدير الذكاء ومضمون الشخصية وكطريقة تستخدم فى الطب السيكوسوماتى لتقدير (السيكوسوماتى) الظواهر الوجدانية التى تظهر أثناء التجربة فى التنفس والحركات والمنعكسات السيكوجلفانية . Les réflexes psychogalvaniques

ثم كان هرمان رورشاخ Herman Rorschach ( ١٨٨٤ - ١٩٢٢ ) الذى وصلت على يديه اختبارات الإسقاط إلى درجة عظيمة الأهمية سواء فى علم النفس أو فى علم النفس المرضى . ولعل الباحث المحقق أن يدرك سبب اهتمام رورشاخ بهذا الموضوع إذا عرف الصلة الوثيقة بين اختبارات الإسقاط ومشاكل رورشاخ الداخلية الخاصة . فقد علمنا كيف كانت هذه الاختبارات ثمرة لتيارين هما تيار العلوم الوضعية وتيار الحدس الصوفى . وكذلك تبلورت هاتان النزعتان فى إنتاج رورشاخ الروحى . ذلك أنه تتلمذ فى صدر شبابه على هيكل فتمت له بذلك النزعة العلمية الصرفة ثم اندمج بعد ذلك فى الحياة الروسية وتشبع بروحها بما قرأه لمفكرها وشعرائها فتم له بذلك الجانب الصوفى . ومما يستحق الذكر فى هذا المقام أن يونج نفسه بعد أن ساهم ببحوثه فى تطور اختبارات الإسقاط انتهى إلى أبحاث قيمة فى مهمة التصوف بالنسبة لعلم النفس .

وظلت أبحاث رورشاخ مجهولة القيمة فى العالم الخارجى عدة سنوات حتى تولى بعض العلماء السويسريون نشرها مثل مدام لوزلى استرى M<sup>me</sup> Loosli Usteri ومدام منكفسكا M<sup>me</sup> Minkowska ، فى فرنسا : فلقبت اهتماماً كبيراً وخاصة من جانب الأمريكيين الذين اقدموا على المساهمة فى هذا الميدان فاشترك معى بعض علمائهم فى تطبيقها منذ سنة ١٩٢٩ . حتى إذا توالى فترة تقرب من العشر سنوات ظهرت لنا اختبارات جديدة نذكر منها على سبيل المثال :

- ١ - اختبار تفهم الموضوع لمورجان وموراى سنة ١٩٣٨ .  
Thematic apperception test. Morgan et Murray
  - ٢ - اختبارات اللعب عند الأطفال .
  - ٣ - اختبارات الرسومات لقارتج سنة ١٩٣٩ .  
Gestaltungstest. Wartegg
  - ٤ - اختبار التداعى بالصور لروزنزفج سنة ١٩٤٥  
Picture association method. Rosenzweig
  - ٥ - صور مرضى الأمراض العقلية لمعرفة استجابة المختبر لزندى سنة ١٩٤٦  
ولما كان العلم فى تطور فلا نستبعد أن تسقط قيمة بعض الاختبارات التى نظنها هامة الآن بينما تنشأ اختبارات فى غاية الأهمية من أقل العمليات شأناً فى نظرنا . على أن الذين تولوا بحث الاختبارات فى عصرنا هم علماء النفس وليس أطباء الأمراض العقلية الأمر الذى يخشى معه ضياع قيمتها فى العلاج إذا اقتصر على تقديم صورة شكلية للمرضى ومساكلهم.
- وأخيراً يتضح لنا أن اختبارات الإسقاط بما تنطوى عليه من فكر علمى وآخر حدسى إنما تعبر عن مشاكل حيوية فى علم النفس المرضى وإن لم تكن وسيلة لإصلاح الميول الشاذة فى الشخصية . ويخاطأ من يظن إمكان رد الاختبارات إلى معادلات وأرقام تحل بالحساب لأن الرقم فى صيغة الاختبار ليس له قيمة مستقلة عن السياق ولا يستغنى المبرج فيها عن الحدس والشعور المنذر والتخمين . وليس المطلوب منها كما قد توهم أخصائيو الاختبار فى المدرسة القديمة تحويل الشخصية وهى القيمة الحية إلى صيغة رياضية جامدة ولا تحويل علم النفس إلى علم رياضى . وإنما يجب ألا نغالى فيما نطالب به اختبارات الإسقاط ولنقل بتواضع رواده السويسريون الأوائل أنه «لا يستطيع أن يحسم الخلاف الموجود بين الكم المقاس والكم غير القابل للقياس وإن استطاع أن يظهره جلياً واضحاً» .

ترجمة أميرة حلمى مطر